الإنسان والوعى التاريخى

أمل مبروك *

ملخص

عرَّف الفلاسفة الإنسان بأنه "كائن تاريخي" بمعنى أنه من بين سائر الكائنات جميعاً الذي يصنع تاريخه، وهو الكائن الوحيد الذي لديه وعي بالزمان. وإذا كان من الصحيح أن الكائنات الأخرى لها "تاريخ"، فإنه من الصحيح ــ أيضاً ــ أنها لا تعي زمانها ولا تاريخها الطبيعي؛ فالإنسان وحده هو صاحب التاريخ البشرى وصانعه عن جدارة، لذلك فهو القادر على فهم جدل الزمان والتاريخ. وإذا كان الله ــ تعالى ــ هو خالق الطبيعة، فالإنسان هو صانع "التاريخ"؛ أي صانع تنظيماته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، كما هو صانع فنه وقانونه ولغته. إذن "التاريخ" إبداع إنساني خالص، بمعنى أن صانع "التاريخ" هو ذاته موضوع "التاريخ"، بحيث يمكن القول إن صنع الإنسان للتاريخ من أوضح وأهم الأفكار التي عُنى بها المفكرون والفلاسفة على مر العصور.

والبحث الذي نعرض له يتناول فهم الإنسان لذاته ووعيه بالواقع التاريخي الذي يحيا من خلاله. وقد تحدثنا في إطار ذلك عن بداية الوعي بـ "التاريخ" في الحضارات القديمة مثل : "الحضارة المصرية" و "الحضارة الصينية" و"الحضارة الهندية" ثم "الحضارة اليونانية". كما تناولنا بالعرض المفهوم الديني لـ"التاريخ" في الديانة اليهودية، فضلاً عن أننا تناولنا بالعرض اللاهوت المسيحي؛ وتحدثنا أيضاً عن الكتابة التاريخية في الدولة الإسلامية عبر العصور والتي شملت مناحي الحياة المختلفة. وتعرضنا لمفهوم"الوعي التاريخي في العصر الحديث"، حيث عالج علماء "التاريخ" في الغرب الطفرة التي حدثت في الدراسات التاريخية، ورجعوا ــ بهذه الطفرة ــ إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر الذي وضع المناهج المتميزة للمعرفة التاريخية، وأحدث نوعاً من الثورة الكوبرنيقية أدت إلى تقديم علم "التاريخ" في صورة جديدة .

* أستاذ مساعد كلية الآداب– جامعة عين شمس قسم الفلسفة

Man and Historical Consciousness

Amal Mabrouk

Abstract

Philosophers define man as a "historical creature", i.e. it is man who makes his history and is time-conscious, unlike all other creatures. Even if other creatures possess a "history", they lack consciousness of time and natural development. Man only is capable of understanding the dialectic of time and history. And if God is the creator of nature, Man is the creator of "history", i.e. a creator of the social, political, economic organization of history, as well as the creator of art, law and language. "History" therefore is a pure human creation in the sense that a maker of history is himself the subject of history. Moreover, it may be said that man's creation of history is one of the most important and self-evident ideas that intellectuals and philosophers were interested in throughout time.

This research deals with the understanding of man to his self and his consciousness of historical reality through which he lives. In this framework, the beginning of historical consciousness in ancient civilizations : Egyptian, Chinese, Indian, and Greek, is presented. Next, the religious concept of "history" in Judaism is discussed, as well as in Christian theology. There follows a discussion of historiography in the Islamic state throughout the ages – a practice that dealt with all aspects of life. Finally, a discussion of historical consciousness in the modern age is given. Scholars of history in the west dealt with the quantum leap that happened in historical studies – a development that goes back to the first half of the nineteenth century when distinguished methods of historical knowledge were developed and a new Copernican revolution broke out and presented the science of "history" in a new garb.

المقدمة

بدأت الكتابة التاريخية عندما بدأ الإنسان القديم يدرك أن الأحداث الماضية، أو الأحداث الحاضرة، بمعزل عن المعنى الديني الذي كانت عليه في أول الأمر. عند ذلك بدأ "التاريخ" يتجرد من قدسيته، وأخذ الإنسان يبحث عن الأسباب والنتائج من خلال روابطها وصلاتها الدنيوية الواقعية، وظهر علم "التاريخ" الذي حل محل "الأسطورة" [1] في صنع الذاكرة الجماعية؛ وقاد إلى تعريف الإنسان بدوره الأساسي في معرفة ذاته وبأهمية نشاطه الخلاق على حركة "التاريخ". ورغم أن هذه القفزة قد جاءت كنتيجة من نتائج صراع الفلسفة مع الأسطورة في الثقافة اليونانية، وما نجم عن ذلك من ظهور المؤرخين اليونانين الأوائل، فإن المقدمات البعيدة لنشوء الكتابة التاريخية قد أنجزتها ثقافات وحضارات موغلة في القدم مثل : الحضارة المصرية، والحضارة الهندية والصينية والأشورية ... الخ، وتحتفظ ــ هذه الحضارات ــ بأرشيف متنوع الموضوعات، يحتوى على عدد ــ لا بأس به ــ من الوثائق التي تعطى صورة عن الأحداث الواقعية؛ وعلى بعض الوثائق التي يمكن اعتبارها بحق نموذجاً للكتابة التاريخية [2].

ومما لا شك فيه أن الفكر اليوناني لم يطرح – إلا عابراً وبلمحات بسيطة– السؤال حول "التاريخ"، ولم يعتبره موضوعاً مستقلاً للفكر بل متمماً لنظريته في الطبيعة؛ لكننا نجد – رغم هذا –مع "أنبادوقليس"Empedocles (B.C 23/ –381) و"أفلاطون" Plato (316 – B.C 236) والمدارس النقدية التي تلت ذلك، شذرات تسمح بالقول بأن موضوع "التاريخ" لم يكن غائباً كلياً على الفكر اليوناني، في حين بقى في الحضارات الشرقية القديمة محافظاً على صبغته الدينية الأسطورية. وقد وردت على لسان المؤرخ "ثيوكيديدس"[3] Thucydides(/35 – 284 B.C) تأكيدات أن الناس هم الذين يصنعون تاريخهم، وقال "أبقراط"[4] Hippocrates (460-370 B.C) إن "التاريخ" يُفسر بالطبائع والمعطيات المادية المحددة لوجود الإنسان. وفى الحضارة الرومانية اعتقد "بوليبيوس" Polybius (2/ 1 – B.C 011)المؤرخ اليوناني الشهير أن "التاريخ" يعنى بمعرفة الأحداث الماضية التي هي بمثابة المقوم الحقيقي للطبيعة البشرية [5].

ومع المسيحية ظهرت أولى التأويلات الشاملة لفهم "التاريخ" من خلال فهم الإنسان الشخص في علاقته بالله وبذاته وبالإنسان الآخر، وأيضاً علاقته بالطبيعة على أساس فكرة "التجسيد" و"الخلاص". وتساءل المفكرون حول واقع "التاريخ" وكيفية ملازمته للمبادئ التي قامت عليها المسيحية ــ ومن قبلها اليهودية ــ مثل وحدة الجنس البشرى ومشاركة جميع الأجيال في الخطيئة

الأصلية، ثم مفهوم الفداء وشموله. لكن "التاريخ" لم يتحول إلى علم مستقل وملتزم بمناهج البحث والتقصي إلا في الثقافة الغربية الحديثة مع بداية القرن التاسع عشر [6].

****

الوعي بالتاريخ في العالم القديم

لا نبالغ إذا قلنا إن المؤرخ الذي يكتب في "التاريخ" القديم، يشبه من كان على سفر ليلاً في مركبة بخارية تشق به المسافات الشاسعة في ظلمة حالكة يتخللها قبس من النور هنا وهناك، إلى أن يصل إلى محط مضاء بالأنوار الساطعة، فيستيقظ على ضوئه ويرى ما حوله من أناس ومبان وسلع، وبعد أن يقضى لحظة بها يتابع سيره ثانية إلى أن يصل إلى محط آخر وهكذا... هذه الظلمة هي مجاهل "التاريخ" القديم، وتلك المحاط هي المعلومات التي جاء بها الزمن وأبقى عليها الدهر [7]. معنى ذلك أن المؤرخ في "التاريخ" القديم لا يستطيع أن يكتب كتاباً متصلة أفكاره بعضها ببعض تمام الاتصال في "تاريخ" أي دولة قديمة قد ضاعت معظم آثارها أو كانت ما تزال دفينة تحت تربتها لم يُكْشَف عنها بعد. وتنحصر براعة المؤرخ الذي يتصدى لكتابة مثل هذا "التاريخ" في سعة اطلاعه وقوة خياله، وقدرته على استنباط الأحداث العظيمة وربطها بما لديه من المعلومات القليلة التي أبقت عليها يد الدهر؛ فهو ــ بتلك المقدرة ــ يمكنه أن يتغلب على الفجوات التي تعترض طريقه [8].

وهذه هي نفس حال المؤرخ الذي يكتب عن "تاريخ" الحضارة المصرية القديمة، فالمصادر الأصلية لديه ضئيلة لا تتصل حلقات أحداثها بعضها ببعض. وإذا أتيح له أن يعرف شيئاً عن ناحية من عصر معين من مجاهل ذلك "التاريخ"، فإن النواحي الأخرى – لذلك العصر ذاته – قد تستعصى عليه، وقد تكون أبوابها موصدة في وجهه؛ لأن أخبار تلك النواحي قد اختفت إلى الأبد، أو لأن أسرارها ما تزال دفينة ــ كما سبق القول ــ تحت تربة مصر لم يُكْشَف عنها بعد. لكن أقدم المصادر المكتوبة عن حياة الإنسان في وادي النيل هي "الوثائق" المصورة والتي تعبر عن الانطباعات التي أخذها المصريون عن عالم الطبيعة والتي سبقت عصر الكتابة [9].

كان اختراع الكتابة جزءاً مهماً من التقدم الذي تم مع بداية العصر التاريخي (3/// ق.م)، وتمثل ألواح "مينا أونارمر" مرحلة أولية في الكتابة الهيروغليفية. فقد نظر المصريون إلى الإله "تحوت" Thoth كاتب الآلهة على أنه مخترع الكتابة، لكنهم ربطوا بين وظيفته ووظيفة زميلته الإلهة سشات Seshat [10]

التي يعهد إليها بأرشيف الحوليات الملكية. ولا شك أن الكتابة كانت دائماً مهمة في الطقوس الدينية، وقد اعتقد المصريون أن دورها يجاوز الأغـراض المباشـرة للتسجيل والتوصيل [11].

ويمكن أن نتبين تطوراً فعلياً في الدولة القديمة، فلا شك أن التعاويـذ كانـت تتلى في أقدم المعابد والقبور، ومن المرجح أن الكهنة كانوا يقرأون من نصوص مكتوبة على أوراق البردي، كما احتفظت النقوش المنحوتة على الحجر بأسـماء الأشخاص الذين دفنوا في المقبرة؛ ثم أضيفت بعض التعاويذ التي تضمن استمرار تقديم القرابين، مثلما تضمن الهناء أو السعادة الأبدية للمتوفى. ويمكن أن نفترض أن هذه النقوش لم تكن مجرد تسجيل لآمال ورعة، غير أنهم آمنوا بأنهـا تكفـل بحضورها الدائم البقاء السحري للبركات الروحية والبدنية [12]. ثم حدث توسـع ملحوظ في استخدام مثل هذه النقوش في أهرامات الأسرة الخامسة والسادسة في سقارة، وكان أقدمها هرم الملك "ونيس" Weins (ازدهر حـوالي /124 ق.م) وتغطى جدران غرف الدفن والممرات المؤدية إليها بالنصوص الهيروغليفية التي تتحدث عن الحياة المقبلة للملك، وتتضمن شواهد لها أهميتهـا فـي اللاهـوت والطقوس والأساطير. وتسمى هذه الكتابات "متون الأهرام"[13] وهى تشكل أقـدم مجموعة كاملة تتعلق بالديانة المصرية، وكان أثرها على الكتابات التالية عميقاً، لأن مضمونها يتكرر كثيراً في النصوص الجنائزية، وبصفة خاصة في "متـون التوابيت" و"كتاب الموتى".

إن "متون التوابيت" – كما يدل اسمها – كُتبت على التوابيت التي تصنع عادة من الخشب، وقد ظهرت في الحقبة التي تلت انهيار الدولة القديمة حتى نهاية الدولة الوسطى. ومنذ بداية الدولة الحديثة أصبح من المألوف تقديم الفوائد التي تتضمنها هذه الكتابات إلى الميت في صورة مختلفة أتم الاختلاف : وهو أن تـُكتـَب هذه النصوص والمتون على مجموعة من أوراق البردي ثم تودع القبر مع المتوفى[14]. ولو قارناها بـ"متون الأهرام" لكانت "متون التوابيت" و"كتاب الموتى" معاً أكثر اتساعاً من حيث التطبيق العملي، لأنها تقدم مميزاتها للأشخاص غير الملكيـين. وثمـَّة موضوعات أخرى تشمل نقوش المعبد، وكانـت سـائدة فـي العصـر "البطلمي"[15] بصفة خاصة، وتراتيل إلى الآلهة كان الكثير منها منقوشـاً علـى الألواح الحجرية، مما يؤكد قوة الدافع الديني عند المصري القديم [16].

ويمكن القول، إن الحقبة الزمنية التي استغرقتها الديانة المصرية القديمة حقبة طويلة، فكان "مينا" أول من أسس دولة متحدة مستقرة عام (3/// ق.م)، وظهر إبان هذه الفترة نظام ملكي مركزي قوى عاصمته "ممفيس"، ثم أعقبتها فتـرة مـن التمـزق. وعندمـا عادت مصـر مـرة أخرى في الدولة الوسـطى حـوالي

(1/4/ – 0675 ق.م) أصبحت عاصمتها طيبة في مصر العليا، وظلت طيبة هي العاصمة حتى عهد التوسع الذي شهدته الدولة الحديثة، ثم حدث غزو وتسلل من سوريا وفلسطين على يد الشعب المعروف بـ"الهكسوس" الذي أدخل على الديانة المصرية تأثيرات أسيوية. أما في الفترة المتأخرة، فقد كانت هناك تغيرات عديدة في الأسر الحاكمة، حيث شهد القرن السادس ق.م إحياءً واعياً لعظمة قديمة لكل من الدين والفن. وعلى الرغم من هذه النهضة، فقد كانت مصر ضعيفة عسكرياً فسقطت عام (414 ق.م) أمام الهجوم الضاري للفرس. ومع أن الاحتلال الفارسي قد تم التخلص منه لفترة من الزمان، فإن غزو " الإسكندر الأكبر " عام (221 ق.م) كان معناه نهاية الاستقلال المصري [17].

وإذا ألقينا نظرة إلى "التاريخ" الفعلي للصين [18]، سنجد أنه يبدأ بأسرة "شانج"[19] Shang (B.C 0012 – 0654) التي استمر حكمها – تقريباً – من القرن السادس عشر حتى القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وكانت سجلاتها تتألف من مجموعة من العظام نُقشت عليها نبؤات، وتم اكتشافها قرب نهاية القرن التاسع عشر، حيث أصبحت – منذ ذلك الحين – المصدر الرئيسي لتاريخ أسرة "شانج". كانت هذه العظام إجابات عن أسئلة تحفر على عظام الحيوانات والقواقع والأصداف، حيث كانوا يستخدمون صدف "السلحفاة"؛ فيقوم العرَّاف بإحداث ثقب فيها ويعرضها للحرارة فتظهر شروخ يفسرها بأنها إجابة عن سؤاله الذي يوجه إلى الأرواح طلباً للهداية والإرشاد. وبعد أن يحفر السؤال يقوم العرَّاف بتسليط النار على ثقوب يحدثها في العظم، ثم يؤول ما ينتج عن الحرارة من تصدعات بأن الأرواح تجيب ببشائر خير أو نذير شؤم. ونحن نحصل من طبيعة الأسئلة المطروحة على صورة لمجتمع ينظمه ــ في كل جانب من جوانب الحياة اليومية ــ التنبؤ بالغيب، وتحكمه اعتبارات الحظ الحسن أو الفأل السيئ؛ كما يؤكد إيمان قدماء الصينيين وجود رباط وثيق بين أفعال الأرواح وتصرفات البشر[20].

وفى عام 1027 ق.م خلفت أسرة "تشو" Chou [21] أسرة "شانج". وحكم القصر الملكي لأسرة "تشو" حتى عام 716 ق.م بوصفهم " الملوك – الكهنة"، فظلوا يسيطرون سيطرة تامة على العالم الصيني. وعلى الرغم من أن الـ"تشو" كانوا أكثر بدائية على الصعيدين الفني والثقافي، فإنهم كانوا شعباً قوياً ذا عزم وتصميم، وقد قاموا بغزو أجزاء كبيرة من الصين معتمدين على القوة والعنفوان وحدهما، وإذ لم تتوافر لهم السبل التي تمكنهم من إدارة كل الأراضي التي قاموا بغزوها كدولة مركزية واحدة، فقد فوضوا سلطة إدارية لزعماء القبائل والنبلاء، الذين تربطهم بهم علاقات طيبة، وقدموا مساحات من الأرض مقابل الصداقة

والتعاون من جانب هؤلاء الملاك الجدد الذين مُنحوا الأرض. ويبدو أن هذا النظام الإقطاعي قد ساد – بشكل جيد – خلال بداية عهد الـــ"تشو"، حيث حظي كل تابع بقدر يعتد به من الحرية والسلطة داخل الأراضي التي يحكمها، وبدا هـذا شـيئاً يستحق عناء الضرائب التي يحصل عليها الملك لقاء هذه الامتيازات [22]. وليس هناك ما يشير إلى أن النصف الأول من عهد الـ"تشو" كان متقدماً علـى نحـو يقترب بأي حال من عصر الـ"شانج" الذي سبقه، فإنه كان عهد سلام وأمن نسبيين داخل بنية النظام الإقطاعي الجديد، لهذا السبب أصبح يُنظر إليه – فـي وقـت لاحق– على أنه "العصر الذهبي" في تاريخ الصين المبكر .

ومن أقدم الوثائق التاريخية وأقدم أساليب الكتابـة الصـينية – قبـل عهـد "كونفوشيوس" [23] Confucius (B.C 479 – 551) كتب "الكلاسيكيات الخمسة" وهى إحدى المرتكزات الأساسية للتعاليم الكونفوشية وتتمثل في :

1 -كتاب "التاريخ" (شو ــ تشينج Shu-Ching) وهو مجموعة مـن الخطـب والسجلات والوثائق الرسمية من ///1 إلى //6 ق.م .

2 -كتاب "الأغاني" أو الشعر (شيه ــ تشينج Shih- Ching) وهو مجموعة من الأشعار تعود إلى عهد "تشو"، والتي تتضمن قصائد شعبية وأغاني الاحتفالات.

3 -كتاب "الطقوس" (لي- تشي Li-Chi) وهو مجموعة من القواعد التي تـنظم السلوك الاجتماعي، وهو أكثر الأجزاء شهرة حيث يرجع تاريخه إلى القرن الأول ق.م .

4 -كتاب "التغيرات" (آي ــ تشينج I - Ching) وهو مجموعة من الصـياغات لتفسير الطبيعة، تـُسْـتـَخدم على نطاق واسع في أغراض العرافة، وهـو يحتوى على أفكار عن السماء والأرض والشمس والقمر والرياح .

5 -حوليات الربيع والخريف (تشو ــ تشون Chun-Chiu) وهو مجموعة من السجلات التاريخية لدول الصين المختلفة في الفترة من 611 إلى 353 ق.م[24].

أما "التاريخ" الهندي، فقد تم تقسيمه إلى عدة مراحـل أساسـية : المرحلـة الـقـديمة [25] وتمتد من //04 ق.م إلى //6 ق.م، والمرحلة الملحمية وقـد شغلت الفترة من //7 ق.م إلى //1م؛ ودامت مرحلة السوترا[26] حتى نحو //3 ق.م إلى //4 م. وقد بدأت مرحلة الشرح على المتون في حوالي //3م، واستمرت حتى نحو عام //06 م. أما مرحلة النهضة فقد بدأت نحو عام //07 م.

بدأ العصر الـــڤيدي عندما انتقلت الشعوب الآرية من آسيا الصغرى إلى وادي السند نحو عام 1500/ ق.م، واختلط التراث الثقافي الذي حملوه معهم بتقاليد الشعوب التي التقوا بها وعاداتهم؛ وبدأ ما يمكن تسميته بـــ"الثقافة الهندية" بالمعنى الصحيح في التشكل، وتمت تغذية نموها من خلال مناخ وأوضاع الثقافتين السابقتين. ويمكن تقسيم كتابات هذه المرحلة التي يطلق عليها اسم "الـــڤـــيدا" إلى الفئات التالية : "الريج ڤـيدا"، "الساما ڤـيدا"، "ياجوار ڤـيدا"، "أثارفا ڤـيدا". وكل نص من نصـــوص "الـــڤـيدا" الثلاثة الأولى تتضمن تراتيل للآلهة، وكذلك أســئلة عديـــدة تخـــص الـــ"سامهيتا" [27]، والترتيبات الخاصة بتقديم الأضحيات والتي يطلق عليها قســم "البراهمانا"[28]. أما ما يخص الطقوس أو القسم الخاص بـــــــ"الأرانياكا"[29] فهي مرتبطة أساساً بالقديسين والرهبان. والتأملات حول الأسئلة الرئيسية التي يتضمنها الفكر الديني وممارسته، فهو ما يُعرف بـــــــ"الأوبانيشاد"[30]. وعلى الرغم من أن كل هذه الكتابات قد تم تأليفها قبل عام 600/ ق.م، فقد كان لها تأثير هائل في شعب الهند، استمر حتى العصر الحالي [31].

وقد شكلت حكمة الكتابات الـــڤـيدية جزءاً كبيراً من التراث المقـــدس فـــي المرحلة الملحمية، حيث نما ما يُسمى بـــــ"الأدب الشعبي" في هذه المرحلة، والذي يرتل في قصص وقصائد أعُدت لنقل كثير من المثل العليا في التراث المقدس عند غالبية الناس. وأبرز مجموعتين تشكل هذا التراث الأدبي : "المهابهارتا" وهـــي ملحمة طويلة تحكى قصة غزو أرض الهند، وخلال ذلك تقدم تعليمـــات بشـــأن القواعد المختلفة للحياة، حيث تقوم بدور المرشد لكافة أشكال الحياة، بما في ذلك الدين والفلسفة والاجتماع والسياسة. أما "الرامايانا" فهي قصيدة تقع فـــي أربعـــة مجلدات، وتقدم المثل العليا للأنوثة والرجولة؛ وتشير إلى نظام مثالي للمجتمـــع بأسره، وكذلك إلى تنظيم مثالي لحياة الفرد .

جاءت مرحلة "السوترا" لترسى العديد من التفسيرات الفلسفية النسقية للعـــالم والطبيعة الإنسانية، حيث تمثل أول جهد فلسفي خالص في الهند. و"السوترات" أو الأقوال المأثورة المنتمية إلى "البوذية"[32] تصنف على أنها أقوال غير أصولية، فلم يقبل مؤلفوها أقوال " الـــڤـــيدا" بوصفها أقوالاً حقيقية أو نهائية. ومع قيام أجيال من الحكماء والدارسين بدراسة "السوترات" وتمحيصها، على اختلاف المدارس والمذاهب التي تنتمي إليها، قام هؤلاء – بين الحين والآخر – بكتابة شروح لهذه "السوترات" وتعليقات عليها؛ وعلى هذا النحو كُتِبَت "الشروح العظمى". أما مرحلة "عصر النهضة"، فقد بدأ الهنود في إعادة تمحـــيص تـــراثهم الفلســـفي، ابتـــداء بالدراسات، والترجمات، والشروح. وازدهر هذا التجديد للتراث القديم في القرن الماضي[33].

وظهرت كتابة "التاريخ" بعد ذلك عند اليونان في أسلوب ملحمي [34] أول الأمر، ويُعَد "هوميروس" [35] Homer صاحب "الإلياذة" [36] و"الأوديسة" [37] أول من وعى أهمية "التاريخ" في الفكر اليوناني، ويمكن العودة من خلال هاتين الملحمتين إلى عصر الحضارة التي سماها القدامى بـ"الحضارة الآخية" والتي تحمل اسم "الحضارة الموكينية". وقد تطورت الفنون ــ في ظل هذه الحضارة ــ تطوراً ملحوظاً، فأحتل "الشعر" مكانة متميزة، وإن اقتصر دوره في الغالب على مدح الأمراء الأحياء والثناء على من مات منهم. وينظر إغريقو الفترة الكلاسيكية إلى بناء "الحضارة الموكينية" على أنهم أبطال، ويعتبرون عصرهم هو عصر البطولة، بل يعتقدون أن دماء إلهية تجرى في عروقهم؛ إذ حققوا من الإنجازات الحضارية ما لم يستطع أي جيل من الأجيال التالية أن يصل إلى مستواها. واعتقدوا كذلك أنهم ورثوا عن أولئك الأجداد والأمجاد قصصاً خالدة تعالج موضوعات مفزعة غير محببة. وقالوا إن هذه القصص وتلك تقوم على أساس من الواقع، أي أن لها بذوراً تاريخية وقعت بالفعل في الزمن السحيق؛ وفى هذه الروايات نشأ الشعر الملحمي الهومرى [38].

وكان للعصر "الموكينى" نظامه الإداري والبيروقراطي وكذا نظامه في الكتابة، وكل ذلك مسجل على لوائح فخارية تحمل إهداءات للآلهة وأسماء للأراضي أو الممتلكات والعمليات العسكرية وما إلى ذلك. ونظام الكتابة الموكينية" المسمى خط الكتابة بـ(Linear - B) ليس أبجدياً، بمعنى أنه مقطعي يتكون من حوالي سبع وثمانين علامة دالة على الحروف المتحركة والساكنة؛ وقد أقتصر استخدامه على الأغراض الرسمية، وهذا يعنى انه لم يستخدم في تدوين الأدب. وعندما اختفت "الكتابة الموكينية" بعد الغزو الدوري الكاسح حوالي عام //01 ق.م، كان الشعر يُنشَد ويتناقله الناس شفاهة لا كتابة. وتراكم هذا الموروث الشعري من جيل إلى جيل في جميع أنحاء بلاد اليونان ومستوطناتها على ساحل آسيا الصغرى منذ حوالي عام //00 ق.م [39].

والواقع أن البداية الفعلية لـ "التاريخ" اليوناني ترجع إلى كتابات "هيرودوت" [40] Herodutus (B.C 314 –37/ /) الذي لقب بـ"أبى التاريخ" والذي يُعد أول المؤرخين اليونانيين على الإطلاق. أصدر كتبه التسعة وأطلق عليها اسم "التواريخ" وقال في مقدمتها : "لابد لي أن أدون التاريخ حتى لا يطمس الزمن أعمال الرجال، وحتى لا تبقى الانجازات العظيمة دون تمجيد أو إعجاب، سواء في ذلك إنجازات الإغريق أو غيرهم من شعوب العالم "[41]. هذه العبارة وحدها تقوم دليلاً ــ لا يرقى إليه أدنى شك ــ في أن اليونان قد أدركوا أن "التاريخ" علم، وبالتالي لابد أن يتناول أعمال الإنسان ويمجدها؛ أي يتساءل عن أشياء من عمل

الإنسان تمت في أوقات محددة في الماضي. كذلك يتجه "التاريخ" اتجاهاً عقلياً بمعنى أنه يستند إلى أسس هي الوثائق التاريخية التي يُرْجع إليها، وأنه يكشف عن نفسه أو أنه قائم ليُحدث الإنسان عن حقيقة ذاته؛ وذلك عن طريق سرده للأعمال التي قام بها [42].

وحسبنا دليلاً على ذلك الاتجاه العلمي العقلي أن نقرأ ما كتبه المؤرخ الكبير "ثيوكيديدس" في مقدمة كتابه عن "الحرب البلوبونيزية" حيث يقول : "كتب من أجل الفائدة التي يمكن أن نحصل عليها من معرفة حقائق الماضي، ومن ثَمَّ نضع مقاييس سليمة للأحداث المتشابهة التي يمكن أن تقع مستقبلاً ترتيباً على الطبيعة المشتركة بين البشر" [43]. وتاريخ "ثيوكيديس" وصلنا مقسماً إلى ثمانية أقسام :

القسم الأول: هو عبارة عن مقدمة عامة ينتهي منها إلى تفنيد أسباب "الحرب البلوبونيزية".

القسم الثاني والثالث والرابع: يبحث في أحداث سنوات الصراع بين أثينا واسبرطة.

القسم الخامس: تناول فيه أحداث السنة العاشرة وما أعقبها من فترة سلم مؤقت.

القسم السادس والسابع: عمد فيه لتناول أخبار الحملة الصقلية .

القسم الثامن والأخير: كتب فيه الفصول الأخيرة من "الحرب البلوبونيزية التي عُرفت باسم الحرب الأيونية والتي انتهت عام 300 ق.م تقريباً " [44].

وإذا كان اليونان قد فطنوا ــ ربما قبل القرن الخامس ــ إلى وجود ما يسمى عالماً إنسانياً يتألف من مجموعة من الوحدات الاجتماعية الجزئية، فإن الوحدة التي ينهض عليها هذا العالم كانت وحدة جغرافية ــ في نظرهم ــ وليست وحدة تاريخية، ولهذا لم يدركوا وجود فكرة "تاريخ" عام تنظم أحداث هذا العالم ومراحل تطوره [45]. وعندما جاء "الاسكندر الأكبر" خلق وحدة سياسية تشمل الجزء الأكبر من دنيا الإنسان، وأصبح العالم وحدة جغرافية ووحدة تاريخية؛ وارتبطت إمبراطوريته بتفعيل هذا "التاريخ" الوافد الذي هو "تاريخ" العالم اليوناني الذي يؤلف وحدة تمتد من البحر الأدرياني غرباً إلى نهر السند شرقاً. ومن هنا ظهرت فكرة العالمية في عصر ما بعد "الاسكندر"، وهو العصر المعروف بـ"العصر الهلينستي".

****

التاريخ والوعي الديني

ينظر الفكر الديني إلى الوجود، كوناً وطبيعة وحياة، على أنه مؤلف من

مستويين : الأول مادي يتجلى في كل ما حولنا من مظاهر حية وجامدة، والثاني غيبي يقع وراء المادة ومظاهرها المتنوعة. الأول حادث ومتغير وقابل للفنـــاء، والثاني قديم وثابت وأزلي. الأول واقع في قبضة الزمن والتاريخ، والثاني يقـــع وراء الزمن والتاريخ ولكنه يتدخل فيهما ويحقق مقاصده من خلالهما. معنى هذا أن مفهوم الكون والإنسان يكمن خارج هذا التاريخ، أي خارج جدلية التاريخ نفسه، لأن هذا التاريخ مُسيَّر من قِبَل قدرة عُلوية توجهه وفق غايات معينة بعيدة عـــن الفهم البشرى حيناً وبادية له حيناً آخر (46).

وعلى ضوء ذلك، ينطلق الفكر الديني في تصوره للبدايات الأولى من اللحظة التي خرجت عندها الألوهية من كمونها وتجلت في الزمان وفى المكان الدنيويين، مبتدئة فعالياتها في الأزمنة الأسطورية الأولى، أزمنة الخلق والتكـــوين. وهنـــا تحولت الألوهية من مفهوم نظري إلى مفهوم عملي، وتجلت في شخصـــية ذات إرادة وقصد وفعل، وفى إله يعلن عن نفسه في سياق زمني تاريخي، مبتدءاً تاريخاً مقدساً يشمل العالم والإنسان. وهناك ثلاثة أنماط لصيرورة هذا التاريخ المقدس في الفكر الديني: النمط الأول هو "التاريخ المفتوح"، حيث يسير الزمن من لحظـــة البدايات نحو مستقبل بلا نهاية. النمط الثاني هو "التاريخ الدوري" حيـــث يســـير الزمن في دوائر مغلقة يتبع بعضها بعضاً إلى ما لا نهاية، ومع اكتمال كل دائرة ينهار الكون القديم ليبدأ كون جديد مع انطلاق الدائرة الثانية. والنمط الثالث هـــو "التاريخ الدينامى" الذي يتطور – بشكل خطي – منذ لحظة الخلق، عبر عدد من المراحل إلى لحظة النهاية حيث ينتهي التاريخ وتتفتح الأبدية؛ ويتم تحويل العالم القديم – بعد عملية تطهير شاملة – إلى حالة من الكمال تليق بخلق الله. هنا تنتهي ثنائية المقدس والدنيوي، والله والعالم، والروح والمادة، والغيبي والمنظور، والخير والشر، وتنوب أطرافها في وحدة لا ازدواجية فيها إلى الأبد (47).

والديانة اليهودية من أكثر الديانات التي تتماهى فيها الحدود الفاصـــلة بـــين المطلق والنسبي، أو بين المقدس والدنيوي، فالقداسة في هذه الديانة لا تقتصر على أوامر الإله فحسب وإنما تشمل أيضاً شروح وتعليقات الحاخامات؛ ومن هنا تنقسم الشريعة اليهودية إلى شقين رئيسيين هما : الشريعة المكتوبة والشريعة الشفهية. الشريعة المكتوبة تضم – حسب الفهم اليهودي – مجمل العهد القديم الذي يتكون بدوره من ثلاثة أقسام رئيسية : "التوراة"، و"الأنبياء"، و"المكتوبات". وتمثل هـــذه الأقسام الثلاثة مراحل تاريخية شديدة التباين يختلف كل منها اختلافاً شاسعاً، ونجد مثل هذه التباينات في داخل النص التوراتي (48).

وقد أثبتت مدارس نقد العهد القديم الحديثة أن النص التوراتي يمثل مرحلـــة تاريخية مختلفة (49)، ويتكون من أربعة مصادر هي : "اليهـــوى" و"الألـــوهيمى"، و"التثنوى"، و"الكهنوتي".

1 -المصدر اليهوى : ويحمل هذا المصدر اسم الإله "يهوه" الذي يعد إلهاً خاصاً لبنى إسرائيل دون غيرهم، ويعود تاريخ هذا المصدر إلى القرن التاسع قبل الميلاد .

2 -المصدر الألوهيمى: ويُنسب هذا المصدر إلى اسم الإله "ألوهيم". وتختلف دلالات مسمى "ألوهيم" عن مسمى "يهوه"، إذ إن "ألوهيم" ليس إلهاً قبلياً وإنما إله لكل الكون؛ وقد كان هذا الاسم منتشراً في مملكة إسرائيل الشمالية. ويعود تاريخ هذا المصدر إلى القرن الثامن قبل الميلاد .

3 -المصدر التثنوى: وهذا المصدر – في جوهره – مصدر تشريعي بحت، صادر عن وسط مثقف لا يلقى بالاً إلى القصص الشعبي، بقدر ما يهدف إلى التوجيه والتعليم والتطوير عن طريق سن القوانين. ويتجلى هذا المصدر – بوضوح – في آخر أسفار التوراة أي سفر "التثنية"، ويعود إلى القرن السابع قبل الميلاد .

4 -المصدر الكهنوتي : يرجع تاريخ هذا المصدر إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وقد أضيف إلى نص التوراة في عهد "عزرا" و"نحميا" أي بعد السبي البابلي؛ وهى فترة وصل فيها الكهنة إلى كامل قوتهم وقمة سيطرتهم على مقدرات اليهود (50).

أما باقي أسفار العهد القديم والتي تنتمي إلى ما يُعرف بسفر "الأنبياء" و"المكتوبات" فتقدم سردًا للأحداث التي وقعت لبنى إسرائيل بعد موت موسى منذ دخولهم أرض فلسطين إلى أن أخرجوا منها في إطار السبي البابلي، كما أنها تتضمن مجموعة أسفار يغلب عليها الطابع الأدبي؛ وتغطى فترة زمنية تمتد – تقريباً – من عام //02 حتى عام //2 ق.م(51).

انطلاقاً من هذه الرؤية إلى التاريخ التوراتي، لم يكن اللاهوت المسيحي ينظر إلى الأحداث السابقة على الميلاد إلا بوصفها فترة مظلمة، لم يعرف الناس خلالها الله إلا عن طريق ظلال قاتمة لا تعكس مجده الحقيقي؛ بما في ذلك كامل الفترة التي تغطيها أحداث العهد القديم. فالتاريخ يبدأ بآدم، ثم يبدأ بداية جديدة بـ"يسوع" المسيح، والزمن الفاصل بين هاتين البدايتين ليس إلا شكلاً من أشكال الجاهلية الإنسانية؛ كان العالم – خلاله – ينتظر قدوم المخلص. وهكذا عكس ميلاد "يسوع" المسيح مبدأ السبب والنتيجة في الصيرورة التاريخية، فبدلاً من أن يُقرأ الحاضر على ضوء الماضي – بوصفه نتيجة منطقية له – صار الحاضر الذي هو تجسد "المسيح" ونتائجه، مُفسراً لكل الأحداث الماضية التي تم فهمها على ضوء هذا الحدث. وأصبح التاريخ يُقرأ ويفسر من ميلاد المسيح صعوداً نحو البدايات ومنه هبوطاً نحو نهاية الزمان. أما أحداث العهد القديم، فقد تحولت من تاريخ يقص

أحداثاً متتابعة ذات معنى وقيمة في حد ذاتها، إلى سلسلة من الرموز والإشارات التي تبشر بـــ"المسيح" وكنيسته [52].

ومن هنا، فقد قسم مؤرخو العصر الوسيط "التاريخ" إلى فترات، حدث فـــي القرن الثاني عشر أن قسم "يواقيم الفلوري "التاريخ" إلى فترات : عصر الأب أو الله غير المجسد، ويقصد به العصر السابق على المسيحية، ثم عصر الابـــن أو عصر المسيحية، ثم عصر الروح القدس الذي قدر له أن يبدأ في المستقبل. وهذه الإشارة إلى المستقبل تنم عن خاصية مهمة تميزت بها كتابة "التاريخ" في العصر الوسيط، وهذه الخاصية تبين أن "التاريخ" ينطوي على خطة موضوعية عُرفت عن طريق الوحي، أي أنها كانت جزءاً مما أوحى به "يسوع" المسيح للإنسان فيمـــا يختص بـــــ"الله". وهذا الاتجاه لا يلقى ضوءاً على أفعال الله في الماضي فحسب، وإنما يلقى ضوءاً على ما يعتزم "الله" أن يفعله في المستقبل أيضاً. معنى ذلك أن الوحي المسيحي قد أعطانا فكرة عن "تاريخ" العالم كله منذ بـــدء الخليقـــة، فـــي الماضي حتى نهايتها في المستقبل[53].

وقد ظهرت بين الكتَّاب المسيحيين مؤلفات تاريخية كثيرة لم يكن يحلم أحـــد – حتى ذلك الوقت – باتساعها وشمولها، فهي تشمل الوقائع التي يمكن الحصول عليها وتنظمها كلهـــا فـــي ضـــوء مبـــدأ واحـــد [54]. فنجـــد مـــثلاً، القـــديس "أوغسطين" Augustine (243– /32) يتحدث في كتابه "مدينة الله" عن تاريخ الإنسانية الذي قسمه إلى ملكوتين : ملكوت الله وملكوت الشيطان، وهما في صراع دائم، صراع الخير والشر. وقد بقى اتجاه تطور التاريخ – في نظره – ينحو إلى الحسم النهائي في هذا الصراع، وسيتم الحسم بانتصار الخير؛ لأن الله قد ســـبق وحدد للتاريخ ذاك الحسم وهذا الانتصار. ومر هذا الصراع في ست فترات إلى أن وصل إلى ظهور "المسيح" ومعه بدأت الفترة الأخيرة التي ستتم يوم القيامة حتى يفصل الأخيار عن الأشرار. وسيطر هذا التصور لتاريخ الإنسانية على الفكـــر المسيحي في القرون اللاحقة وحتى علـــى كبـــار لاهـــوتي وفلاســـفة القـــرون الوسطى[55].

أما في دولة الإسلام، فإن الكتابة التاريخية تطورت تطوراً هـــائلاً وشـــملت مناحي الحياة المختلفة وسجلت دقائقها، وترجمت لأعلامها. وكان من بين صور التأليف التاريخي – التي شاعت منذ منتصف القرن الثالث الهجري – ما يُعرف بـــ"التاريخ المحلى"، حيث يعمد المؤرخ إلى الكتابة عن مدينته ويؤرخ لهـــا دون غيرها من المدن؛ اعتزازاً بها وتسجيلاً لحركتها الفكرية. وظهرت سلسلة مـــن تواريخ المدن توفر على كتابتها عدد من أبنائها، حتى أضحت كتابة هذه التواريخ البلدانية تقليداً لدى العلماء تتوارثه الأجيال. وتوالت الكتب التي تتنـــاول المـــدن

الكبيرة مثل : بغداد، ودمشق، والقاهرة، ومكة، وحلب ..... [56] وهكذا نجد "تاريخ" بغداد "للخطيب البغدادي" (281 – 351 هـ) الذي جمع فيه خلاصة ترجمة العلماء الذين عرفتهم "بغداد" حتى أواسط القرن الخامس الهجري، وأيضاً نجد "تاريخ" دمشق "لابن عساكر" (388 – 460 هـ)، و"تاريخ" حلب "لابن العديم" (477– 623 هـ)، و"تواريخ" القاهرة وخططها لـ"المقريزي" (65/ – 734 هـ) و"السيوطي" (738 – 800 هـ) وغيرهما. ومهما تباينت المحاور التي دارت حولها "تاريخ" هذه المدن – سواء اتخذت التراجم أو الخطط أو الحوليات محاور لها – فإنها جميعاً تحوى قدراً كبيراً من المعلومات المهمة عن الحياة الاجتماعية فضلاً عن الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية ... مما لا نظير له في أي ركن آخر من أركان العالم في العصور الوسطى [57].

وفى ضوء ما سبق وبعيداً عن مفهوم الكتابة التاريخية لتاريخ البلدان الإسلامية، يمكن تقسيم "تاريخ" الإسلام إلى مراحل ست [58] :

الأولى: مرحلة بناء الجماعة الإسلامية التي بناها الرسول ﷺ خلال ثلاثة وعشرين عاماً في مكة والمدينة والتي قام بها مجتمع موحد في الجزيرة العربية كلها. وإلى هذه الجماعة تعزى تلك القوة التي وُصفت بأنها "معجزة" في سبيل إذاعة الإسلام في أطراف الأرض.

الثانية: المرحلة التي توسع فيها الإسلام وامتد من حدود الصين إلى أطراف فرنسا، وهذه المرحلة تمتد إلى عام 003تقريباً من الناحية التاريخية .

الثالثة: مرحلة بناء الفكر الإسلامي في مواجهة محاولات تحريفه – وهذه المرحلة مزدوجة النماء في مجال الثقافة والمدنية معاً، وفيها ظهر بناة الدول وقادة الفكر. ويمكن أن توصف تاريخياً بأنها مرحلة تمتد من بدء حركة التدوين إلى الحرب الصليبية الأولى 85 /0 م 378 هـ .

الرابعة: مرحلة أزمة الإسلام والغزو الخارجي، أي غزوات الصليبيين والتتار ومؤامرات الباطنية. وفى هذه المرحلة قامت المملكة اللاتينية في قلب العالم الإسلامي، ثم تقلصت وانتهت كما انتهت غزوات المغول؛ واقتحم الإسلام آفاقاً جديدة في جنوب شرق آسيا وقلب أفريقيا. وتمتد هذه المرحلة تاريخياً إلى قيام الدولة العثمانية 555 – //02 واندماج القوة العربية معها في عام 816 هـ – 0406 م.

الخامسة: ظهور مرحلة الوحدات الثلاث في عالم الإسلام : (1) الدولة العثمانية في منطقة آسيا الصغرى والعالم العربي. (2) الدولة الصفوية في فارس.

(3) دولة المغول في الهند. وتمتد هذه المرحلة تاريخياً حتى عام 0135 هـ – 072/م .

السادسة: مرحلة التوسع والامتداد، ونمو الفكر الإسلامي وتطوره وأثره في العالم الخارجي.

****

الوعي التاريخي والعالم الحديث

يتحدث علماء "التاريخ" في الغرب عن طفرة الدراسات التاريخية في العصر الحديث، ويرجعون – بهذه الطفرة – إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، عندما فتحت دور المحفوظات الأوروبية أبوابها لأهل العلم؛ فأخذوا يستخرجون كنوزها وينشرونها على الناس. وكانت هذه الثروة الضخمة حافزاً للكثيرين على الاتجاه نحو دراسة "التاريخ"، ومن ثَمَّ حدث ما يسمى عادة بـ"الانفجار" الواسع المدى في الدراسات التاريخية؛ حيث ساد في الغرب الأوروبي تياران رئيسيان : الأول، تيار الواقعية الموضوعية Objective Empiricism الذي يقول أصحابه بأنه يمكن أن نكتب الحقائق التاريخية بالضبط كما كانت في الماضي. الثاني، تيار النزعة "التأريخية" Historicism أي تيار القائلين بتوالد أحداث التاريخ بعضها عن بعض، بمعنى أن "التاريخ" هو عملية توالد مستمرة [59].

ويدخل في نطاق هذين التيارين فريق التقريريين أو الإيجابيين من المؤرخين Positivist Historians أولئك الذين حسبوا أنهم يستطيعون أن يوجزوا "التاريخ" كله في سلسلة من القوانين العامة. ويمكننا أن ندخل في زمرة أولئك المؤرخين "ابن خلدون"(0221 – 03/5 م) الذي أوجز تاريخ العالم في قانونه المشهور عن "دورة العمران". وعلى الرغم من أنه عاش في القرن الرابع عشر الميلادي، فإننا يمكن أن نضعه على رأس هذه المدرسة المهمة من علماء "التاريخ".

وإذا أردنا أن نتتبع مسار الوعي التاريخي في العالم الحديث، فيمكن البدء بمفكري عصر النهضة[60] الأوروبية ونظرتهم للتاريخ؛ حيث عاد الناس إلى تقييم "التاريخ" بوصفه دراسة اجتماعية تستند إلى أسلوب علمي، وقد ترتب على النهضة نتائج مهمة منها: (1) صبغ "التاريخ" بالصبغة الزمنية، وتحول تدوين شئون الدولة من رجال الدين إلى العلمانيين. (2) تغيرت الكتابة التاريخية كنتيجة طبيعية لإحياء الدراسات القديمة، واتجاه الإيطاليين بالذات إلى منابع هذه الحضارة القديمة؛ أي إلى اللاتينية واليونانية. (3) ظهور روح النقد والتمحيص والتحليل للمراجع والمصادر الأصلية، واستبعاد ما لا يثبت صحته منها [61].

وهكذا عاد إلى الظهور من جديد طلب المعرفة والبحث الحر، وكانت البداية مع "لورنزو ڤـالا" Lorenzo Volia (5/ 03 – 0346) عندما أثبـت بكتابـه المعروف بـ"منحة قسطنطين" Donation of Constantine بطلان الأسس التي قامت عليها سلطة البابوات الزمنية. وهذه المنحة كانت تعتبر مقدسة لأن البابوات كانوا يقولون إن الإمبراطور "قسطنطين الأكبر" وهب فيها أراضى إيطاليا للكرسي البابوي، بوصفها إرث الرسول "بطرس" أخذه عن السيد المسيح مباشرة. وقد أثبت " ڤـالا " أن هذه الوثيقة زائفة، وأن رجال الكنيسة زيفوها ووضعوا عليها خاتم "قسطنطين؛ وأن السيد المسيح لم يمنح الحواري "بطرس" شيئاً فـي إيطاليـا أو غيرها. وقد أحدث هذا الكشف زلزالاً عنيفاً في أوساط العلم والسياسة والدين في أوروبا آنذاك. وقد حذا حذو " ڤـالا" عدد كبير من مؤرخي عصر النهضة فـي إيطاليا نذكر منهم على سبيل المثال : "نيكولا ماكيافللى"[62] Machiavelli (0358 – 0416) فقد كتب عن "تاريخ" فلورنسا [63] الذي يعتبره النقاد من آيـات علـم التاريخ الخالدة، حيث جاءت روايته لهذا التاريخ بصورة صريحة وبأسلوب رصين وبسمو في التفكير لا نجد له مثيلاً إلا في "المقال عن التاريخ العالمي" لـ"بوسويه" Bossuet (0516 – 3/ 06). وفـى كتـاب "الأميـر" The Prince يسـتفيد "ماكيافللى" فائدة كبيرة من "التاريخ" ويستخلص نظريته في ثبات الطبيعة البشرية، وفيه يشير إشارات كثيرة إلى أحداث عصره لتأييد قضية معينة تتنـاول شـروط النجاح السياسي [64].

وتحدث "أيبوليت أدولـف تـين" Hippolyte Adolphe Tine (0717 – 0782) – المؤرخ والناقد والفيلسوف الفرنسي الذي كتب عن تاريخ عصر النهضة في كتابه "تاريخ الأدب الإنجليزي" – عن انتقال النهضة خارج إيطاليـا خاصـة إنجلترا، حيث بدأت الاكتشافات وتقدمت الصناعة واتجهت العلوم نحـو طريـق التجديد، كذلك بدأت العلوم التجريبية تنمو، واتجه الإصلاح إلى الدين. كما كتب أيضاً "بوليدور فرجيـل" Polydore Virgil (/036 – 0444) عـن تـاريخ إنجلترا في عهد هنري السابع، الذي ظل نموذجاً لكل من جاء بعده من مؤرخي الإنجليز [65].

وكان لحركة الإصلاح الديني التي تزعمها "مارتن لـوثر" Martin Luther (0372 – 0435) أثر عميق على الدراسات الفلسفية عامة والتاريخ بخاصةٍ. فقد أشاع "لوثر" – أثناء تدريسه الفلسفة في جامعة "وتنبـرج" Wittenberg عـام 7/ 04 واللاهوت في عامي 0404– 0405 روح النقد والتحليل، حين دعا لدراسة الكتاب المقدس وإعادة كتابته باللغة الشعبية، وقد ساعد هذا على انتشار كلمـات

الإنجيل على أوسع نطاق بين الناس. وقد نشر رأيه بصراحة في أن الكنيسة قد انحرفت عن طريقها السوي الذي كانت تسير عليه في عهد "المسيح" و"الرسل الأوائل"[66]. في تلك الفترة وصل البحث التاريخي إلى قمته بسبب الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت، وكانت حصيلة هذا ظهور العديد من الكتب والأبحاث ونشر العشرات من الوثائق. فكتب مثلاً: "روبرت بارنز" Robert Barnas (0384 – 043/) عن سير بابوات روما، وكتب "جون فوكس" John Foxe (0406 – 0576) كتاب "الشهداء" Book of Martyrs. ونشر "ماثياس فلاكيوس" Mathias Flacius (041/ – 0464) كتابه عن "تاريخ الكنيسة المسيحية" منذ قيامها في عهد الرسل حتى القرن الخامس عشر، باسم "قرون مجدبرج" Magdeburg Centuries، تناول فيه ما كان يجرى في المجامع الدينية، وما صدر عن البابوات. وتحمس عدد من الكاثوليكيين للرد عليه، وفى مقدمة هؤلاء "قيصر بارونيوس" Caesar Baronius (0427 – 6 /05) من مؤرخي الكنيسة اللاتينية والذي كان أميناً لمكتبة الفاتيكان الضخمة التي يرجع الاهتمام بها إلى البابا "تيقولا الخامس"، نشر "بارونيوس" كتاباً بعنوان "الحوليات" للرد على ما جاء في كتاب "فلاكيوس"؛ وترتب على ذلك انتشار العديد من المعلومات والوثائق [67].

ولابد من القول أن كل ما تمحصت عنه حركة الإصلاح الديني والإصلاح المضاد لم يؤد إلى دراسة "التاريخ" بالمعنى الحديث، ولم يتعد تهيئة الأدوات والمواد المساعدة على دراسته. كما يمكن القول بأن نشأة الدول القومية الأوروبية وحاجتها إلى مؤرخين قد جعلت المؤرخين الإيطاليين يتأثرون بفيلسوف العصر "جوتفريد ليبنتز" G.Leibniz (0535 – 0605) فكتب "انطونيو موراتوري" Antonio Muratori (0561 – /064) المؤرخ الإيطالي الشهير الذي كان أمين مكتبة نابولي، تاريخ أسرة "إسته" Este عام 7 /06 على غرار "التاريخ" الذي كتبه "ليبنتز" لأسرة "الدوق براونشفيك" Duke of Brunswick دوق هانوفر Hanover. لكن ظلت الغاية الأساسية من "التاريخ" عند "ليبنتز" مثل الغاية النهائية من الشعر، أن يعلمنا الحكمة والفضيلة عن طريق الأمثلة التي يقدمها لنا من خلال "التاريخ"، وأن يعرض للرذيلة في صورة تدعو إلى تجنبها وكراهيتها [68].

وأسهم أصحاب النزعة الإنسانية Humanism في عصر النهضة فى نشر مؤلفات الكتَّاب القدامى، وبعث التراث الكلاسيكي في البلاغة والأدب والنحو والفلسفة والتاريخ؛ فاهتموا بنشر كتابات المؤرخين الرومان مثل "تيتوس ليفيوس" Livy Titus (59 B.C-17 A.C) و"تاسيتوس" Tacitus (44– /01) لاستخلاص ما فيها من عبرة وقيم تربوية وتعليمية وأخلاقية، كذلك "تاريخ" "بلوتارك"Plutarch (35 – /08) الذي يزخر بالشخصيات العظيمة مثل الاسكندر

وقيصر؛ غير أن النزعة الإنسانية قد اقتصرت على النظر إلى "التاريخ" نظـرة عملية أخلاقية بحيث لم تظهر لديها النظرة العلمية [69].

ثم كان كتاب "فرنسيس بيكون" Bacon (0450 – 0515) "تقدم العلـم"[70] بداية الانتقال من الناحية الفلسفية إلى الناحية التاريخية، وفيه وجه "بيكون" الأنظار إلى ضرورة الاهتمام بـ"التاريخ" بجانب الاهتمام بالأخلاق. وتم الانتقال مـن النظرة إلى "التاريخ" كمصدر للعظة الأخلاقية والتربوية، إلى الاهتمام بدراسـة الوقائع التاريخية دراسة علمية[71]. بـدأ هـذا التحـول عنـد "توماس هـوبز "Thomas Hobbes (0447 – 0568) الذي تعمق في دراسـة الكتـّاب القدامى من اليونان والرومان، وخاصة المؤرخين والشعراء والفلاسفة، وبوجه أخص مؤلفات "أرسطو" Aristotle (273 – 211 B.C) في الأخلاق والسياسة، واتجه إلى "هوميروس" وترجم "الإلياذة"؛ وأهتم بقراءة "ثيوكيديس" الذي اعتبره أهم المؤرخين السياسيين، وترجم كتابه عن "الحرب البلوبونيزية" بين أثينا واسبرطة. ثم عكف "هوبز" بعد ذلك على دراسـة "إقليـدس" Okulaid (4/2 – / /2 B.C) و"جاليليو" Galileo (0453 – 0531) وتوصل إلى أن "التاريخ" ليست لـه إلا قيمة أخلاقية، واستبعد المعرفة التاريخية من كتابيه "التنين" و"الجسم"؛ وانتهى إلى أن "التاريخ" مجرد حكايات يمكن أن تساعدنا على تكوين أحكامنا والارتقاء بعقولنا وتعريفنا بعادات الأمم الأخرى، ولكن الإمعان في قراءة "التاريخ" قد يجعل صاحبه يعرف العادات السائدة في الماضي مع جهله بالعادات السائدة في الحاضر. ثم جاء "ديكارت"Descartes (1650– /054) وأقام تفرقته بين المعرفة العقلية الدقيقة القائمة على أسس رياضية وبين المعرفة التي تقوم على الخبرة البشرية، كما نجدها في معرفة "اللغات" و"التاريخ" و"الجغرافيا" التي تثقل - في رأيه - ذاكرة الإنسان بأعباء غير ضرورية [72].

ومن الذين برزوا في القرن الثامن عشر [73] في مجال التـاريخ الفيلسـوف الإيطالي "ڤـيكو" Vico (0557– 0633)، فقد نشر عام 0614 كتابه "مبـادئ العلم الجديد"[74]، ذهب فيه إلى أن "التاريخ" ليس من صنع القدر ولكن من صنع العقل أي من صنع البشر؛ ولهذا لابد أن نجد مبادئ "التاريخ" في تحولات عقلنـا البشرى نفسه. ويتعجب "ڤـيكو" تعجباً شديداً من اتجاه الفلاسفة إلى دراسة العالم المادي الطبيعي الذي هو من صنع الله وهو وحده القادر على معرفته معرفة تامة، بينما أهملوا البحث عن عالم التاريخ البشرى وكانوا كالعين التي ترى كل شيء خارجها وتحتاج لمرآة لترى نفسها. ولما كان الإنسان هو صانع "التاريخ"، فلابد أن تكون هناك تنظيمات أساسية وافق عليها كل البشر، ومن هذه التنظيمات ستخرج المبادئ العامة الخالدة التي وجدت في كل الشعوب. هذه المبادئ الأساسية التـي

يراها "ڤـيكو" تتلخص في ثلاثة : الدين أو العقيدة، الزواج وما يرتبط به من تحكم في الانفعالات، دفن الموتى وما يرتبط به من خلود الروح البشرية [75].

أما "مونتسكيو" Montesquieu (0578–0644) فهو في مقدمة المفكـرين والمنظرين الذين مهدوا بفكرهم للثورة الفرنسية، وهو الذي أحدث ثورة منهجية بصياغته وتطويره لجملة من المبادئ النظرية، تمحورت حول فكرة إنشاء فيزيقا اجتماعية تمتلك منهجاً مماثلاً لمناهج العلوم الطبيعية بحيث يسمح لها ــ هذا المنهج ــ بتفسير الاجتماع الإنساني وآلياته تفسيراً علمياً. ويُعَد كتابه "روح القوانين" أعظم كتاب ظهر في القرن الثامن عشر، وفيه درس نظامي الحكم الإنجليزى والفرنسي ووازن بينهما، وأشار إلى تطور نظام الحكم عند الرومان وغيرهم مـن الـنظم السياسية في الماضي والحاضر. وتوصل – في النهاية – إلى قاعدة مهمة هي: أن الأنظمة السياسية لكي تكون أنظمة ناجحة لابد أن تكون ملائمة للحياة الطبيعيـة والخصائص العقلية. يقول: "لقد تفحصت البشر بادئ ذي بـدء، واعتقـدت فـي تنوع القوانين واختلاف الطبائع ووجدت أنهم لم يكونوا مسيرين بأهوائهم فقـط. لقد وُضعت المبادئ، وأبصرت خضوع الأحوال الخاصة لهذه المبادئ من تلقاء نفسها، وأدركت أن تواريخ جميع الأمم ليست غير نتائج لها، وكل قانون خاص يرتبط بقانون آخر أو يتعلق بقانون أعم "[76].

وعندما نشر " ڤـولتير" voltaire (0583– 0667) مؤلفه الأول في "التاريخ" عن حياة وأعمال "شارل الثاني عشر" وحروبه مع الروس عام 0620، رأى الناس فيه لوناً جديداً من "التاريخ" لم يعرفوه إلى ذلك الحين، هذا بالإضافة إلى كتابـه البديع" خطابات فلسفية" الذي يدخل في نطاق المؤلفات الفلسفية، إلا أنـه حافـل بالآراء والملاحظات على مسار التاريخ وأحوال الزمان. أما كتابه "عصر لويس الرابع عشر" فقد أبدى فيه براعة فائقة في تحليل أسباب الضعف في فرنسا أثناء عهد هذا الملك. ويعتبـر كتـاب "إدوارد جيبـون" Gibbon (1737– 1794) "انحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها" من أشهر الكتب التي شاعت أثنـاء الثورة الفرنسية، وقد تـُرجم هذا الكتاب إلى العديد من اللغات. أما المؤرخون الألمان، فقد تميزت كتاباتهم بالدقة والنقد، ويظهر هذا جلياً في كتابات "وولـف" Wolf (0648– 0713) الذي نفى ما كان شائعاً من أن الإلياذة والأوديسة كتبها "هوميروس"، وذهب إلى أنها من عمل جماعة من الشعراء في فتـرات زمنيـة متباعدة .

كذلك كتابات المؤرخ والفيلسوف الألماني"هردر" Herder (0633–07/2) الذي كان معاصراً لـ "روسو " Rousseau (0601 – 0667)، وأطلق عليه اسم "روسو الألماني، واشتهر بكتابه عن فلسفة "التاريخ". ومن أمثلة ذلك أيضاً ما كتبه

المؤرخ الألماني "برتولد ينبور" B.Niebuhr (0665 –0720) عن تاريخ الرومان، حلل فيه ما كتبه " ليفيوس" عن النظام الجمهوري، فأثبت أنه بعيد كل البعد عن الحقيقة؛ واستطاع "نيبور" أن يفصل الأساطير فصلاً واضحاً دقيقاً عن الواقع التاريخي [77]. كذلك كتابات " ليوبولد فون رانكى Leopold von Ranke " (0684–0775) الذي كتب في تاريخ إيطاليا وتركيا وانجلترا وفرنسا، بالإضافة إلى مؤلفه الكبير عن "تاريخ العالم". وبلغ الاهتمام بالدراسات التاريخية ذروته في القرن التاسع عشر، الذي وضع المناهج المتميزة للمعرفة التاريخية وأحدث نوعاً من الثورة الكوبرنيقية التي أدت إلى تقديم علم "التاريخ" في صورة جديدة .

****

الخاتمة

حينما أخذ الإنسان البدائي منذ فجر البشرية يقص على أبنائه قصص أسلافه ممتزجة بأساطيره ومعتقداته، بدأ "التاريخ" يظهر إلى حيز الوجود في صورة بدائية أولية، وبدأ الإحساس به يتكون في ذهن الإنسان منذ أقدم العصور. عندما سارت البشرية قدماً في مضمار الحضارة، في شتى أساليبها وصورها، أخذ "التـــاريخ" يشكل أساساً جوهرياً في تسجيل موكب البشرية الحافل الدؤوب، إذ هو المرآة أو السجل أو الكتاب الشامل الذي يقدم لنا ألواناً من الأحداث وفنوناً مـــن الأفكـــار وصنوفاً من الأعمال والآثار .

ومهما كان من أثر القوى الإلهية أو الميتافيزيقية العليا التي يمكن أن تسيطر على مصائر البشرية وأحداث "التاريخ"، فإن "التاريخ" يتخذ مجراه على يد الإنسان بطريق مباشر، وفى ظروف معينة. فالإنسان ابن الماضي، بل هو ثمرة الخلقْ كله منذ أزمان سحيقة. ويذهب بعض المفكرين مثل "كروتشه" Krochh (0755– 0845) إلى اعتبار "التاريخ" كله تاريخاً معاصراً، ولا يستطيع الإنسان أن يفهم نفسه وحاضره دون أن يفهم الماضي [78]؛ بمعنى أن "التاريخ" يتألف بصورة أساسية من رؤيـــة الماضي من خلال عيون الحاضر وعلى ضوء مشكلاته. ومعرفة الماضي تكسب الإنسان خبرة السنين الطويلة، والتأمل فيه يبعد الإنسان عن ذاته، فيرى ما لا يراه في نفسه بسهولة من مزايا الغير وأخطائه، ويجعله ذلك أقدر على فهم نفسه، وأقدر على حُسْن التصرف في الحاضر والمستقبل. من هذا المنطلق، بحث فلاسفة التاريخ عن القوانين الأساسية التي يخضع لها "تاريخ" الإنسانية على مر العصور، واجتهدوا في الكشف عن الأسباب والأحكام العامة التي تؤثر في سير الأحداث التاريخية.

الهوامش

(1) هناك صلة وثيقة بين "الأسطورة" و"التاريخ" باعتبارهما نتاجان من نواتج الثقافة البشرية ، فكليهما ينشأن عن التوق إلى معرفة أصل الحاضر؛ ولكنهما يفترقان في القيمة التي تسبغها عن ذلك الأصل . فهو أصل "مقدس" عند "الأسطورة"، وأصل "دنيوي" مفرغ من الأسطرة عند "التاريخ". وبتعبير آخر، إن "الأسطورة" تنظر إلى "التاريخ" بوصفه تجلياً للمشيئة الإلهية ، أما "التاريخ" فينظر إلى موضوعه بوصفه تجلياً للإرادة الإنسانية في جدليتها مع القوانين الفاعلة في حياة الإنسان الاجتماعية .

يُنظر في ذلك : فراس السواح ، **الأسطورة والمعنى** : دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية ، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 0886، ص 80.

(2) تطلق الكلمة الألمانية "الهورسطيقا Heuristik" على علم الوثائق ، وهى تدل – بالمعنى العام – على كل الأصول التي تحتوى على معلومات تاريخية دون أن ينحصر ذلك فيما دُوِّن منها على الورق . ولكنها بالمعنى الدقيق الذي اصطلح عليه الباحثون في "التاريخ" ، هي الكتابات الرسمية – أو شبه الرسمية – مثل الأوامر والقرارات والمعاهدات والاتفاقيات والمراسلات السياسية ، والكتابات التي تتناول مسائل الاقتصاد أو التجارة أو عادات الشعوب أو نظمهم وتقاليدهم .

يُنظر إلى: حسن عثمان ، **منهج البحث التاريخي** ، دار المعارف ، القاهرة ، 0876 ، ص /2 وما بعدها.

أيضاً : فراس السواح ، **المرجع السابق** ، ص ص 002 – 003.

كذلك:

- Fling F.M, The writing of History: An introduction to Historical Method, New Haven, Yale university press, 1976, p 40.

(3)"ثيوكيديس" مؤرخ يوناني شهير، كتب تاريخ الحرب البلوبونيزية بين أثينا واسبرطة اشترك فيها وأصبح قائداً في عام 313 ، وحينما أخفق في هزيمة "براسيداس" ولم يستطع إنقاذ "أمفيبوليس" تقرر نفيه من أثينا ؛ وفى أثناء نفيه كتب تاريخ الأحداث التي تمت في هذه الحرب والتي تعد من أهم المؤلفات التاريخية .

(4)"أبقراط" ولد بجزيرة "كاوس" وعاش حوالي خمسة وتسعين عاماً تعلم خلالها الطب من أبيه وبرع فيه. يعد "أبقراط" أول من دوّن الطب وحرره من سيطرة رجال الدين ورفع مسئولية علاج المرضى من الآلهة ووضعها على عاتق الإنسان وحده ، بل هو أيضاً أول من وضع قواعد صحيحة بني عليها أساس الطب الحديث، فكان بلا منازع أعظم طبيب في تاريخ الطب القديم .

لمزيد من التفصيل يُنظر إلى: حسين على ، **فلسفة الطب** ، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 7 / /1 ، ص /1.

(5) **الموسوعة الفلسفية العربية** ، المجلد الثاني (المدارس والمذاهب والاتجاهات والتيارات) ، القسم الثاني : ص – ي ، معهد الإنماء العربي ، تحت إشراف د. معن زيادة ، 1988، ص 985.

كذلك: أرنولد توينبى ، **الفكر التاريخي عند الإغريق** ، ترجمة لمعي المطيعى ، مراجعة د. محمد صقر خفاجة ، سلسلة الألف كتاب الثاني ، عدد (/8) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، /088 ، ص 51.

(6) ناجى نهر، **منهجية كتابة التاريخ** .

- http://al_nnas.com/ARTICLE/NNahar/23icp2.htm.2010.p2.

(7) جيمس هنري برستد ، **فجر الضمير** ، ترجمة سليم حسن ، مراجعة عمر الاسكندرى ، وعلى أدهم ، مكتبة مصر، القاهرة ، /087، ص 2 من مقدمة المترجم .

(7) Wallis , Budge , **Egyptian Religion** , Routledge , London , 1975 , p 30 .

أيضاً : جيمس هنري برستد ، **المرجع السابق** ، ص ص 1– 2 .

(9) يُرجع في ذلك : روبرت آرامور ، **آلهة مصر القديمة وأساطيرها** ، ترجمة مروة الفقى ، مراجعة محمد بكر، المجلس الأعلى للثقافة ، عدد (1 /8) ، القاهرة ، 4 / /1 ، ص /0.

أيضاً: جيمس برستد، **المرجع السابق** ، ص ص 31 – 32 .

(10) "سشات" ربة الكتابة والكتبة والمعماريين في مصر القديمة ، لقبت بـ"المشرفة على المكتبات"، ترتكز وظيفتها أساساً على التسجيل اليومي المتتابع للأحداث التي تقع أبان حكم أي فرعون . وتمثل "سشات" ــ عادة ــ وقد توجت رأسها بنجمة أو زهرة ، وتمسك بيدها بعض أدوات الكتابة. وغالباً ما ترتدي ، فوق ظهرها جلد فهد كعلامة للحماية والوقاية ، ويجسد ذلك نزاهتها واستقامتها الكاملة من خلال وظيفتها التي تؤديها في إطار البلاط الملكي . وكانت "سشات" ترأس طقوس وضع أساسات المعابد ، بل هي على بينة ومعرفة بأسرار "تحوت"، حيث اعتبرت الكفيلة بالحفاظ على تعاليم الأسرار الملكية .

يُنظر إلى: روبير جاك تيبو، **موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية** ، ترجمة فاطمة عبد الله محمود ، مراجعة محمود ماهر طه، المجلس الأعلى للثقافة ، عدد (371) ، القاهرة ، 3 / /1 ، ص 081.

(11) جفرى بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب** ، ترجمة إمام عبد الفتاح ، مراجعة عبد الغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، عدد (173) ، 0882 ، ص 30 .

(12) المرجع السابق، ص ص 30 – 31 .

أيضًا: موريس بير برابر ، **صناع الخلود** ، ترجمة عكاشة الدالي، سلسلة الألف كتاب الثاني ، عدد (016)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 0882 ، ص 6.

(13)"متون الأهرام" هي أقدم مصدر وصل إلينا عن تفكير المصري القديم ، وكان الظن السائد أن كل الأهرام كانت عارية من النقوش إلى أن اقتحم العمال المصريون الذين كانوا يعملون في الحفائر عام 077/، ودخلوا هرم "بيبى الأول" وهرم الملك "مرنرع" فوجدوا جدران أروقة هذين الهرمين وممراتها وحجراتهما مغطاة بآلاف الأسطر من النقوش الهيروغليفية ، وهذه النقوش هي التي يطلق عليها اسم "متون الأهرام". وتوجد هذه المتون منقوشة في خمسة من أهرام سقارة التي كانت تعد جبانة "منف" القديمة ، وتلخص – هذه المتون – مجموعة الممارسات والعبادات المكونة للطقوس الجنازية بمصر إبان الدولة القديمة ، وتعد – بلا ريب – مرجعاً وافياً لكل محاولة تهدف إلى فهم العقيدة المصرية ؛ فهي تنبثق من التقاليد الشفهية البدائية التي ترجع عادة إلى عام /// 4 ق.م .

لمزيد من التفصيل يُنظر إلى: جيمس برستد ، **فجر الضمير**، ص 71 .

أيضاً: روبير جاك تيبو، **موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية** ، ص 40 .

(14) جفرى بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب** ، ص 31 .

(15) من أقدم المحاولات لتدوين التاريخ تلك التي قام بها الكاهن المصري القديم "مانيثون" Manetho الذي عاصر بطليموس الأول وبطليموس الثاني ، وضع باليونانية تاريخاً لقدماء المصريين استمد مادته من مصادر مصرية قديمة ، وقد ضاع مؤلفه ولم يتبق منه سوى نبذة بسيطة انتفع بها علماء المصريات انتفاعاً كبيراً. استلهم "مانيثون" من البحث المعنون بـ vieille chronique أي الحوليات القديمة، الدقة الواجبة على تقسيم فراعنة مصر إلى ثلاثين أسرة . ولا ريب أن هذا التاريخ ــ الذي كتبه "مانيثون" ــ قد قوبل بجدال من جانب علماء المصريات .

يُنظر إلى: روبير جاك تيبو، **المرجع السابق** ، ص 173.

أيضاً: هرنشو، **علم التاريخ** ، ترجمة عبد الحميد العبادى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 0833 ص 05.

(16) الواقع أنه لا توجد قوة أثرت في حياة المصري القديم مثل قوة "الدين"، لأن تأثيرها يشاهد واضحاً في كل نواحي نشاطه ، ولم يكن أثر هذه القوة في أقدم مراحلها الأولى إلا محاولة بسيطة ساذجة يتعرف بها الإنسان على ما حوله في العالم ويخضعه – بما في ذلك الآلهة – لسيطرته ؛ فصار وازع "الدين" هو المسيطر الأول عليه في كل حين . فما يولده الدين من مخاوف هي شغله الشاغل ، وما يوحى به من آمال هي ناصحه الدائم، وما أوجده من أعياد هي تقويمه السنوي ، وشعائره – برمتها – هي المربية له والدافعة على تنمية الفنون والآداب والعلوم . وفى هذا يقول المؤرخ اليوناني "هيرودوت" : "إن المصريين أكثر تقوى من سائر البشر ويهتمون كل الاهتمام بالشعائر المقدسة ... فقد سبقوا شعوب العالم إلى إقامة الأعياد العامة والمواكب العظيمة ، وعنهم تعلم الإغريق ، ودليلي على ذلك ، أنها تقام في مصر منذ زمن بعيد ، بينما لم يحتفل بها الإغريق إلا منذ وقت قريب ".

يُنظر في ذلك :

- جيمس برستد ، **فجر الضمير**، ص 25 .
- Smart, Ninian, The Religious Experience of Mankind, Collins, Fount paperbacks, 1969, p 289 (Egyptian Religion).
- ياروسلاف تشرنى، **الديانة المصرية القديمة**، ترجمة أحمد قدري، مراجعة محمود ماهر طه ، مشروع المائة كتاب، عدد (5)، هيئة الآثار المصرية، 0876 ، ص (هـ) من مقدمة المراجع .
- إيزابيل فرانكو، **أساطير وآلهة**، ترجمة حليم طوسون، مراجعة محمود ماهر طه، المجلس الأعلى للثقافة، عدد (544)، القاهرة، 4 / /1 ، ص 11 .

(17) جفرى بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص 32 .

أيضاً: روبير جاك تيبو، **موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية**، ص ص 73 – 74 .

(18) تسمى الصين "جنة المؤرخين" ذلك لأنها ظلت مئات وآلافاً من السنين تحتضن مؤخرين رسميين يسجلون كل ما يقع من الأحداث الهامة لتاريخ الصين منذ عام / / /2 ق.م .

(19)"شانج" الأسرة المالكة التي يبدأ بها التاريخ المسجل للصين، وتختلف الروايات بشأن مدة حكمها للبلاد، فالبعض يشير إلى القرن الرابع عشر ق.م، والبعض الآخر يرى أن حكمها قد استمر من القرن السادس عشر حتى القرن الحادي عشر ق.م؛ وقد تم إلقاء أضواء قوية على الحياة في حكم هذه الأسرة.

جون كولر، **الفكر الشرقي القديم**، ترجمة كامل يوسف حسين ، مراجعة إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد (088)، 0884 ، ص 235 .

(20) جفرى بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص ص /16 – 160 .

أيضاً: فؤاد محمد شبل، **حكمة الصين**، دار المعارف، القاهرة، 0856، الجزء الأول، ص 21.

(21) حكمت أسرة "تشو" ــ على نحو ما تؤكد وثائق عهدها ــ معتقدة أن رسالتها قد قضت بها السماء . فالسماء هي التي أزاحت أسرة "شانج" وأنهت تفويضهم بالحكم ، وهى التي كلفت أسرة "تشو" الملكية بتولي هذا المنصب الذي هو "تفويض من السماء". وتعتقد هذه الأسرة أن الإله الأعلى هو السلف الأعظم (شانج – تى Chang-Ti) وهو لفظ مرادف لـــ"تين Tien" (أي السماء) . وتمسك السماء – أو هكذا كان الاعتقاد السائد ــ بيدها الكون بأسره ، وتقض بتعاقب الفصول في مواقيتها ، وتأمر بدورة الموت والتجدد، وتكفل خصوبة الرجال والنساء والحيوانات والمحاصيل . غير أن السماء تمنح مسئولية تنظيم الكون لوصيها على الأرض وهو ابن السماء "تين تزو" Tien-Tzu ، وقد وقع الاختيار على أسرة "تشو" للقيام بهذا الدور.

لمزيد من التفصيل يُنظر إلى: جفرى بارندر ، **المرجع السابق** ، ص 161 .
أيضا: آلبان. ج. ويدجرى ، **التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوشيوس إلى توينبى** ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة الألف كتاب الثاني ، عدد (110) ، الجزء الأول ، 1996 ، ص 16 .
أيضا: إمام عبد الفتاح ، **معجم ديانات وأساطير العالم**، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، المجلد الأول ، ص 151 .

(22) جون كولر، **الفكر الشرقي القديم** ، ص ص 220 – 221 .

(23) "كونفوشيوس" Canfucius ولد عام 551 ق.م في مدينة "لو" Lu الصغيرة بولاية "شانتونج" Chantung وتوفى بها عام 368 ق.م، واسمه هو النطق اللاتيني لـ"كونج فو – تسو Kung fu-tzu" الصينية والتي تعنى الحكيم أو المعلم "كونج".

(24) يُرجع في ذلك :

- جون كولر، **المرجع السابق** ، ص 223.
- ول ديورانت ، **قصة الحضارة** ، ترجمة زكى نجيب محمود ، ومحمد بدران ، المجلد الثاني ، (3-4)، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، 0 / / 1 ، ص 38 .
- فؤاد شبل ، **حكمة الصين** ، ص 30 .
- صلاح رسلان ، **كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني** ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1998، ص 10.
- هالة أبو الفتوح ، **فلسفة الأخلاق والسياسة** : المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، / / / 1 ، ص 23 .

(25)"الڤيدا" Veda هي الكتب المقدسة في الديانة الهندوسية ، والكلمة تعنى المعرفة المرتبطة بالعمل القادر على قهر التجزئة والاغتراب في إطار عملية توحيد كل الكائنات ، وملء الحياة بطاقة مقدسة . وكلمة " الڤيدات" يطلقها الهنود على تراثهم المقدس الذي ورثوه من أولى مراحل تاريخهم ، ولم يبق من هذا التراث سوى أربعة أسفار هي :

1 -الريج – ڤيدا Rig-Veda المعروفة باسم " الڤيدا النارية" أو "الڤيدا المنسوبة إلى النار" والسفر قسمان: أولهما : أدعية وصلوات وتراتيل شعرية ، والآخر : يشتمل على تعاليم تتعلق بالعبادات والواجبات الدينية.

2 -ساما– ڤيدا Sama-veda ومعناها " الڤيدا الشمسية" أو "الڤيدا المنسوبة إلى الشمس"، وهى أيضاً قسمان : أحدهما : تراتيل دينية ، ويشتمل الآخر على تعاليم متعلقة بإقامة الصلوات وتلاوة الأدعية .

3 -ياجورا – ڤيدا Yajora-veda أو "الڤيدا الهوائية" أو "الڤيدا المنسوبة إلى الهواء"، وتضم مجموعتين يطلق على أحداهما اسم "الياجورا ڤيدا البيضاء"، وعلى الأخرى، بـ"الياجورا السوداء".

4 -أثارفا– ڤيدا Atharva-veda وهى أيضاً قسمان ، الأول : يحتوى على أوراد وأدعية للاستغفار والرقى ضد السحر والأرواح الشريرة المدمرة والخبيثة ، ويشتمل الآخر على طائفة من شرائع الديانة البرهمية.

يُنظر في ذلك إلى:

- إمام عبد الفتاح، **معجم ديانات وأساطير العالم**، المجلد الثالث، ص 384 .

- أ . س . ميغوليفسكي ، **أسرار الآلهة والديانات** ، منشورات دار علاء الـدين ، دمشـق ، 4 / /1 ، ص /03.
- ول ديورانت، **قصة الحضارة** ، المجلد الثاني ، (2-3) ، ص ص 25 – 26 .

(26) "السوترا" Sutra كلمة سنسكريتية ، يعود استخدامها في اللغة الانجليزية إلى عام 0 /07 ، وهى تعنى أصلاً " الخيط" أو "القاعدة" ، وقد انصرفت في الأدب السنسكريتى إلى قاعدة موجزة من قواعد اللغة أو القانون أو الفلسفة . و"السوترا" تعبر عن مرحلة من مراحل التطوير وفـق المـدارس المختلفـة لنصوص "الـڤـيدا"، ويشار كذلك إلى أن الكلمة تعنى تلخيصاً لجانب من التعاليم الهندوسية .

يُنظر إلى: جون كولر، **الفكر الشرقي القديم** ، ص 31.

أيضاً: إمام عبد الفتاح ، **المرجع السابق** ، ص 170.

(27) "سامهيتا" Samhitas المجموعة الأساسية من الترانيم في "الـڤـيدا".

(28) "البراهمانا" Brahmanas أعلى طبقة اجتماعية في الهندوسية ، وهى طبقة الكهنة .

(29) "الأرانياكا" Arabyakas أو نصوص الغابة ، وهى خاصة بالنساك ، لكنها يمكن أن تكون هدايـة للشيوخ والمعمرين الذين تركوا أهلهم ليقيموا في الكهوف والغابات .

(30)"الأوبانيشاد" Upanishad كلمة مؤلفة من مقطعين "يوبا" Upa ومعنـاه "القـرب مـن" و"نيشـاد" Nishad ومعناها يجلس ، والمصطلح يعنى حرفياً – في الديانة الهندوسية – "يجلس بـالقرب مـن المعلم" أو "تحت أقدام المعلم". و"الأوبانيشاد" عبارة عن مجموعة من الكتابات الفلسفية تغطى فتـرة زمنية حول / /4 سنة ق.م.

(31) جون كولر ، **الفكر الشرقي القديم** ، ص ص 26 – 27 .

(32)"البوذية" Buddhism المذهب الذي قال به جون سد هارتافى شمالي الهند في القرن السادس ق.م. واستهدف – في جوهره – التحرر بنور البصيرة ، واعتمد على التأمل للوصول إلى حالة النيرفانا .

جون كولر، **المرجع السابق** ، ص 31.

(33)المرجع السابق ، ص 30 .

(34) ما تزال كلمة "ملحمة" Epic غامضة في كثير من الأحيان، لكن الرأي السائد هو أن الكلمة تشير إلى القصيدة القصصية الطويلة التي تسجل الأعمال البطولية الخارقة التي صدرت عن بعض الأبطـال الحقيقيين أو الأسطوريين ، والتي تمتزج فيها أفعال البشر وتصرفات بعض الكائنات الإعجازية الخفية كالآلهة والمردة والشياطين والوحوش المخيفة ؛ بل أيضاً بعض القوى الكونية والظواهر الطبيعية التي تقوم بدور مساعد في إنجاز هذه الأعمال البطولية . إلا أننا نجد ميلاً واضحاً في بعـض الكتابـات الحديثة إلى إطلاق كلمة "ملحمة" على بعض الأعمال الروائية الكبرى مثل رواية "تولستوي" Tolstoy (0717 – /080) "الحرب والسلام"، بل إن بعض الأفلام السينمائية الضخمة تعتبر إبداعيات وأعمالاً ملحمية . وبذلك فإن كلمة "ملحمة" لم يعد استخدامها مقصوراً على روائع الأعمال الشعرية القصصية الضخمة التي عُرفت في العصور الكلاسيكية القديمة (في الشرق والغرب على السواء) وفى العصور الوسطى وعصر النهضة في أوروبا ، بل إن استخدامها يمتد لكي يشمل ما يُعرف الآن باسم " الشعر الملحمي الحديث "وأيضاً " المسرحي الملحمي" Epic Theatre .

أحمد أبو زيد ، **الملاحم كتاريخ وثقافة** ، مجلة عالم الفكر ، المجلد السادس عشر، العدد الأول ، الكويت ، 0874 ، ص 3 .

(35) "هوميروس" Homer لا نعرف شيئاً عن حياته ، ووصلتنا سير كثيرة لـــ"هوميروس" من العصر اليوناني الروماني ، ولكنها جميعاً من صنع الخيال . هناك حقيقتان فقط مؤكدتان : الأولى أنه كـان أعمى ، والثانية أنه من ساحل آسيا الصغرى أو الجزر المحاذية له ، وجزيرة "خيوس" هي الأقرب إلى نيل هذا الشرف .

يقول "ثيوكيديس" إنه عاش بعد حصار طروادة بزمن طويل ، ويقول شيشرون" cicero خطيب روما (5 /0 – 32 ق.م) إنه ولد قبل تأسيس روما عام 642 ق.م.

(36)"الإلياذة" ilias "قصة إليون" أو "أليوس" ilion, ilios وهما الاسمان الأصليان للمدينة التي عرفت أيضاً باسم طروادة Troie وباللاتينية Troia وهو الاسم الأشهر ، وإن كان في الأصل يعنى المنطقة المحيطة بالمدينة لا المدينة نفسها .

(37)"الأوديسة" Odysseia هي اسم لقصة "أوديسيوس" ولم تترجم إلى اللغة العربية لا قديماً ولا حديثاً .

يُنظر إلى: S. G oswalt, Greek and Roman Mythology , London , 1969 p. 56 .-
أيضا: هوميروس ، **الإلياذة** ، تحرير وتقديم ومراجعة : أحمد عتمان ، المجلس الأعلى للثقافة ، عدد (64/) ، القاهرة ، 3 / /1 ، ص ص 8– /0.

(38)المرجع السابق ، ص 06.

(39)المرجع السابق ، ص ص 06–07.

أيضا: أليان. ح. ويدجرى ، **التاريخ وكيف يفسرونه** ، ص ص 88– / /0.

(40)"هيرودوت" Herodutus (480 – 425 ق.م) يعرف بـ"أبي التاريخ"، وهو من مواليد "هاليكارناسوس بآسيا الصغرى. هاجر في سن مبكرة إلى مسقط رأسه "أثينا"، وقام برحلات كثيرة زار فيها بلاد اليونان وجنوبي إيطاليا ومصر وبابل . خلف لنا تسعة كتب باسم "التواريخ" تحكى قصة الحروب بين الفرس واليونان .

(41) نقلاً عن : محمد عواد حسين، **صناعة التاريخ**، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد (إبريل – مايو – يونيو) 0863، ص 012.

(42) كولنجوود، **فكرة التاريخ** ، ترجمة محمد بكير خليل ، مراجعة محمد عبد الواحد خلاف ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، 0857 ، ص 47.

أيضا: هرنشو، **علم التاريخ** ، ص ص 07 – 08 .

(43) نقلاً عن : محمد عواد حسين ، **المرجع سالف الذكر** ، ص 013.

كذلك: أرنولد توينبى، **الفكر التاريخى عند الإغريق** ، ص 07.

(44) لمزيد من التفصيل يُنظر إلى : محمد فريد وجدي ، **دائرة معارف القرن العشرين** ، دار الفكر ، بيروت – لبنان، المجلد الرابع ، ص 318 وما بعدها .

(45) كولنجوود، **المرجع سالف الذكر** ، ص 67 .

(46) فراس السواح، **الرحمن والشيطان : الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية** ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، 3 / /1، ص 06.

(47) المرجع السابق، ص 07.

(48) لويس جنزبرج، **قصص اليهود** ، ترجمة وتفسير ، جمال الرفاعى ، مراجعة وتقديم محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة، عدد (354) ، القاهرة ، 1 / /1 ، ص 01 من مقدمة المترجم .

أيضا: - Snowden , Keighley , Watts , Myth and Legend in the Bible , London and co 17 Johnson court , Fleet Street ES, 1934 , p.28 .

(49) توماس ل. تومسون، **أسفار العهد القديم في التاريخ : اختلاق الماضي**، ترجمة عبد الوهاب علوب ، مراجعة وتقديم محمد خليفة حسن ، المجلس الأعلى للثقافة ، عدد (074) ، القاهرة، / / /1 ، ص 183.

(50)لويس جنربرج المرجع سالف الذكر، ص 02.

(51) لمزيد من التفصيل ينظر إلى: روبرتسن سميث، **محاضرات في ديانة الساميين** ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، مراجعة وتقديم محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة، 0886، ص ص 00 – 01.

كيث واتيلام، **اختلاق إسرائيل القديمة : إسكات التاريخ الفلسطيني**، ترجمة سحر الهنيدى ، مراجعة فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، عدد (138) ، 0888 ، ص 018.

(52) فراس السواح ، **الرحمن والشيطان** ، ص ص 141 – 142 .

أيضاً : كولنجوود ، **فكرة التاريخ** ، ص /00 .

(53)المرجع السابق ، ص ص 003 – 004 .

كذلك: محمد عواد حسين ، **صناعة التاريخ** ، ص 017 .

(54)إتين جلسون ، **روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط** ، ترجمة إمام عبد الفتاح ، مكتبة مدبولى، القاهرة ، 1996 ، ص 333 .

أيضاً : - John, Hick , Philosophy of Religion, Rentice - Hall , Inc , Englewood Cliffs, N.L. 1963, p.15 .

كذلك : عصمت نصار، **فلسفة اللاهوت المسيحي** ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 7 / /1 ص 3 /1 .

(55) **الموسوعة الفلسفية العربية**، المجلد الثاني، ص 875 .

(56)أحمد تمام ، **الخطيب البغدادي في ذكرى ميلاده** .

http://www.islamonline.net/servlet/satellite?C=Article_C&cid.6/2007.p1

(57)سعيد عبد الفتاح عاشور، **الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية** ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد الحادي عشر ، العدد الأول (إبريل – مايو – يونيو) ، /087، ص 76.

أيضاً : هرنشو، **علم التاريخ** ، ص ص 20 – 21 .

(58) أنور الجندي، **الإسلام وحركة التاريخ : رؤيا جديدة في فلسفة تاريخ الإسلام** ، دار الكتاب اللبناني . دار الكتاب المصري ، بيروت –لبنان ، 0875، ص ص 02 – 03.

(59) حسين مؤنس، **التاريخ والمؤرخون** ، دار المعارف ، القاهرة ، 0873 ، ص 50.

أيضاً : إسماعيل نورى الربيعي ، **النزعة التاريخية ومعنى التاريخ** .

http://www.iraqiartist.com/iraqiwriter/lraqi.2006.p2.

(60) يعنى لفظ " النهضة" Renaissance إعادة الولادة Rebirth والتجديد Renewal وجاء من الفعل الفرنسي Renaitre أي يولد مرة أخرى To be born again ومن اللفظ اللاتيني Renasci .

يُنظر في ذلك :

- Edward Craig, Routledge Encyclopedia of philosophy, London and New York, 1998, p 264.

(61)هرنشو، **علم التاريخ** ، ص ص 37 – 38 .

أيضاً : شوقي الجمل ، **علم التاريخ : نشأته وتطوره** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1982 ، ص ص 02 – 03 .

(62)ولد "ماكيافللى" في الفترة التي يسميها مؤرخ من أكبر المؤرخين الإنجليز وهو "ج. أ. سيموندز" J.A. Symonds (/073 – 0782) "عصر الطغاة"، وهو حفيد أسرة عريقة

يرجع تاريخها إلى القرن التاسع ، عرفت بمقتها الشديد لحكم "آل مديتشى" ؛ فلقد لقي أحد أفرادها حتفه في ظلمات السجن لكراهيته الشديدة لحكم هذه الأسرة .

ينظر إلى: - Emesto Landi, Machiavellin :Western Political Philosophers , edited by Maurice Cranstan , London 1964 , p.22.

أيضاً : نيقولا ماكيافللى ، **دراسة تحليلية محورها كتاب الأمير** ، ترجمة وتحليل وتعليق محمد مختار الزقزوقى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 3 / /1 ، ص ص 17 – 18 .

(63) كان لـ"فلورنسا" شأن كبير في مجال الفكر والأدب ، حتى أن بعض المؤرخين يشبهها بأثينا في عصر ازدهارها . اجتمع في "فلورنسا" حب المال والجمال والانفتاح على العالم ، والتطلع إلى المعرفة؛ ونشأ فيها مؤرخون تربوا على حب "التاريخ" الروماني واليوناني ، وعركوا الحياة في المجالس المدنية وفى بلاطات الأمراء الأجانب . كذلك أحرزت "فلورنسا" تقدماً كبيراً في مجالات عديدة منها : الأدب والعلم والصناعة والتجارة ، ومنها خرج علم الاقتصاد السياسي . ويعتبر "جيتشارديني" Guicciardini (0372 – /043) أهم مؤرخ لفلورنسا ، وقدم في سنواته الأخيرة كتابيه: "حوار في نظام فلورنسا" و"الحكاية الفلورنسية"، وهما من أفضل ما كُتب في هذا المجال .

يُنظر في ذلك: إبراهيم مصطفى إبراهيم ، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم** ، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية ، /1/// ، ص ص 36 – 37 .

(64) نيقولا ماكيافللى ، **مرجع سبق ذكره** ، ص 51.

(65) Anthony Kenny, Renaissance Thinker, Oxford, New York, 1993, P. 209.

كذلك : هرنشو، **علم التاريخ** ، ص 51.

(66) Brain, P. Copenhaver and Charles B, Schmitt, Renaissance Philosophy,Oxford, university Press, 1992, p 108.

كذلك : جون هرمان راندال ، **تكوين العقل الحديث** ، ترجمة جورج طعمه ، دار الثقافة ، بيروت –لبنان ، الجزء الأول ، 0854 ، ص 138.

(67) هرنشو، **مرجع سبق ذكره** ، ص 46.

(68)عطيات أبو السعود ، **فلسفة التاريخ عند جامبا تيستافيكو** ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت –لبنان ، 5 / /1 ، ص ص 12 – 13.

أيضاً :

- C.D. Broad, Leibniz: An introduction, Cambridge university press, 1975, pp.1-5.

(69)عطيات أبو السعود، **المرجع سالف الذكر** ، ص 13 .

(70) يحصر "بيكون" العلوم في ثلاثة تأتى بحسب قوانا المدركة : التاريخ وهو علم الذاكرة ، والشعر وهو علم المخيلة، والفلسفة وموضوعها العقل . وهذه العلوم الثلاثة ليست ــ في نهاية الأمر ــ سوى ثلاث مراحل متتالية يجتازها العقل في تكوين العلوم . فالتاريخ هو تجميع الوثائق وما فيها من مواد ، والشعر هو أول استعمال وتنظيم لها، إنه تنظيم خيالي وقف عنده القدماء ؛ وأخيراً الفلسفة هي التركيب والبناء العقلي الصلب.

حبيب الشارونى، **فلسفة فرنسيس بيكون**، دار الثقافة، الدار البيضاء (المغرب)، 0870، ص 27.

(71) كولنجوود، **فكرة التاريخ**، ص 011.

(72) إمام عبد الفتاح، **توماس هوبز: فيلسوف العقلانية**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 0874، ص 42.

أيضاً: عطيات أبو السعود، **فلسفة التاريخ عند جامبا تيستا فيكو** ، ص 14.

(73) يُعرف القرن الثامن عشر بأنه "عصر التنوير" Enlightenment أي سيادة فلسفة عقلية تجريبية ترفض الميتافيزيقا والدين وتهتم بالرياضة والفلك والطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعي والجغرافيا والطب، فلسفة تؤمن بالتغير وتسعى إلى التجديد في كل شيء ، تحدوها ثقة مطلقة في العقل ويدور التفكير فيها حول الإنسان ، ولهذا كان الاهتمام بالتاريخ ــ في هذا القرن ــ مظهراً من مظاهر الاهتمام بالإنسان .

أحمد محمود صبحي ، **في فلسفة التاريخ** ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 0864 ، ص 71.

(74) كتاب " فيكو" "العلم الجديد" محاولة أصيلة في تاريخ العلوم الإنسانية ، بل هو أعظم المحاولات لإقامة علم شامل لـــــ "التاريخ " قبل " كونت "، وأعظم تحليل لصراع الطبقات سابق على "ماركس " Marx (0707 – 0772) . والكتاب يمثل مشكلة بالنسبة للقارئ الحديث ، لأنه مزيج من عناصر متعددة لا يمكن التمييز بينها، فالمؤلف يبحث – إلى جانب المسائل الفلسفية ــ في مشكلات تجريبية، وفى مسائل تاريخية مباشرة، ومن الصعب الفصل بين اتجاهات البحث المتعددة هذه؛ بل إنه ليبدو أحياناً أن " فيكو " ذاته لم يكن واعياً بأنه ينزلق من نوع المسائل إلى نوع آخر. ولكن – على الرغم من ذلك – فإن الكتاب يعرض نظرية في "التاريخ" عظيمة الأهمية .

يُنظر في ذلك:

-Vico, New Science, translated by David Marsh and Anthony Crafton, penguin books, 1999, p 39.

- برتراندرسل، **حكمة الغرب**، ترجمة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، عدد (61) ، الكويت، الجزء الثاني: الفلسفة الحديثة والمعاصرة، 0872، ص 86.

– حسن حنفي، **دراسات فلسفية**، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 0877 ، ص 255.

(75) عطيات أبو السعود، **المرجع سالف الذكر**، ص 63 .

(76) مونتسكيو، **روح الشرائع**، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 0/ 1/ ، مقدمة المؤلف.

كذلك: لوى ألتوسير، **مونتسكيو: السياسة والتاريخ** ، ترجمة نادر ذكرى ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفارابي ، بيروت – لبنان، 5 / /1 ، ص 8.

(77) أرنست كاسيرر، **في المعرفة التاريخية** ، ترجمة أحمد حمدي محمود ، مراجعة على أدهم ، دار النهضة العربية، ص 08.

(78) "التاريخ" ينصب على الماضي، وهو بهذا يتميز عن سواه من ألوان المعارف الأخرى . وليس معنى هذا أننا نستطيع أن نفصل فصلاً جازماً بين الماضي والحاضر والمستقبل، لأن الحياة في سيرها وحدة متكاملة والمواقف المتخذة من الماضي تتأثر بمعتقدات الحاضر وآمال المستقبل .

****